

أنواع التفسير ومناهجه، وخطورة تحكيم العقل فيه بلا ضوابط خطورة الاحتكام إلى العقل في تفسير القرآن الكريم

كلمة الشيخ رزوي بغدادري

مفتش التوجيه الديني والتعليم القرآني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة
للعالمين؛ أما بعد،

فقد طلب مني أن أتحدث في موضوع يتعلق بكتاب الله تعالى فحاولت أن
أشارك في هذه الندوة والمناسبة العزيزة علينا وهي ذكرى وفاة شيخنا وسيدنا
ومن له الفضل علينا سيدي محمد بن الكبير رحمة الله عليه، فأقول:

إن الاسلام لم يُغيب الاحتكام إلى العقل في كثير من الأمور؛ لأن العقل هو
سبب في التكليف، لكن عندما يتعلق الأمر بالتفسير فهناك ربما يكون الاحتكام
إلى العقل نوعاً من المجازفة، والقول بتغيير مقاصد النص القرآني.

أولاً: إن التفسير بمجرد العقل أو الرأي لا يخلو عن القول بغير العلم والرسول
ﷺ يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وقد نهى رسول الله ﷺ
عن تفهم كلام الله تعالى على نحو ما يتفهم به كلام غيره حتى وإن صادف الحقيقة.

ثانياً: قد تؤدي خطورة العقل في تفسير القرآن الكريم إلى ميل المفسر إلى فرقة
أو مذهب أو نحلة أو فكرة أو قناعات فيؤول القرآن إلى رأيه وحسب عقله، ويصرفه
عن المراد؛ ولقد أشار وعالج هذه الفكرة المفسر العالم الطاهر بن عاشور رحمه الله.

ثالثا: من مخاطر تفسير القرآن بالعقل هي ان العقل مرتبط بالواقع أم القرآن فمرتبط بالحقيقة المطلقة، ولذلك الأصل هو الوحي، ولن يكون العقل ميزانا للوحي.

رابعا: العقل الغير المنضبط بالشرع لا يهدي للصواب، وهذه من أخطار التفسير بالعقل، ولا يمكن أن يستقل العقل بالتفسير دون المصادر الاخرى.

خامسا: قد يعتمد العقل في تفسير القرآن على مصادر فاسدة، أو غير صحيحة في تفسير القرآن، كما وقع لكثير من المعتزلة.

سادسا: المفسر للقرآن بالعقل يتعامل مع القرآن كأى نص عربي ولا يقدر في ذلك حرمة للنص القرآني.

سابعا: المفسر بعقله قد لا يراعي في تفسيره قوانين وآليات للتفسير كاللغة والبلاغة وأصول الاستنباط لان تحكيم العقل يغلب عليه.

ثامنا: قد يستعمل المفسر بالعقل مقاييس عقلية مخالفة للمقاصد الشرعية، وهنا يكمن الخطر، ولهذا قال أحد العلماء: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن الكريم.

تاسعا: المفسر بالعقل قد يبالغ بقيمة عقله في تفسير القرآن فيجعله أداة مطلقة للمعرفة مع أن العقل أداة محدودة. عاشرا: من أخطار تحكيم العقل في التفسير أن العقول مختلفة ومتفاوتة فأى عقل ينبغي يفهم به لتفسير القرآن الكريم... والسؤال يبقى مطروح - ماهو الدليل على إصابة عقل دون عقل - .

عاشرا: من أخطار الاحتكام إلى العقل الخطأ في الدليل والمدلول قد يستدل بعقله بدليل باطل فيلزم بطلان دلالة الدليل مثال ذلك: إن المعتزلة أنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة واستدلوا بقوله لن تراني وقالوا إن لن تأييد للنفي وهذا غير صحيح. جعل بعض العلماء التفسير بالرأي هو عبارة عن احتكام إلى العقل؛ ولهذا ذم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرأي فقال اتقوا الرأي في دينكم وقال إياكم

وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيثهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا برأيهم فضلوا وأضلوا. قد يقول المفسر للقرآن بعقله أو رأيه قد اعتمد على اللغة وهذا هو أحد أسباب الخطأ الذي يقع فيه فقد يتأول القرآن على حسب فهمه للغة والنص يكون بخلاف ذلك.

مراتب التفسير للقرآن الكريم: مراتب التفسير المتفق عليها:

1 - تفسير القرآن بالقرآن.

2 - تفسير القرآن بالسنة.

3 - تفسير الصحابة.

4 - تفسير التابعين.

المرتبة الأولى: تفسير القرآن بالقرآن هو أول مراتب التفسير وقد قال العلماء: «أعلم الناس بالكلام قائله»، والله المثل الأعلى فقد جاءت آيات القرآن مفسرة لبعضها البعض فمثال ذلك ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽¹⁾، فسرهما قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁽²⁾.

المرتبة الثانية: تفسير القرآن بالسنة فقد جاءت سنة رسول الله ﷺ مبينة لكثير من النصوص القرآنية فمثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾⁽¹⁾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ⁽²⁾، فسرتها السنة المطهرة على أنه نهر اعطاه الله لرسوله الكريم ﷺ.

المرتبة الثالثة: تفاسير الصحابة رضوان الله عليهم فهم أعلم بالكتاب بعد رسول الله ﷺ فقد نزل بين ظهرانهم، ومثال ذلك على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ

(1) سورة يونس/62.

(2) سورة يونس/63.

(3) سورة الكوثر/1 - 3.

أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴿١﴾، فملازمة النساء بصفة عامة تبطل الطاهرة والصلاة ولكن الحقيقة ما فسره بن عباس على ان المقصود في الآية الجماع وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٢)، كان الحجاج يأخذون معهم تجارة او يؤجرون بعض الدواب فظنوا أن هذا الفعل يبطل الحج ففسرها بن عباس أن المقصود ليس عليكم جناح في هذا العمل. المرتبة الرابعة: إذا أجمعوا على الشيء فإنه حجة لأنهم تلاميذ الصحابة ؓ مثال على ذلك مجاهد بن جبير يقول عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ووقفه عند كل آية وأسأله عنها ومثال آخر إجماع التابعين على تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (٣)، قال بعضهم قلوبهم متألفة ولكن أجمع التابعين انه يقصد بألوف العدد هناك مراتب أخرى للتفسير فمثال ذلك التفسير باللغة وهو ما تقتضيه الكلمات من معاني شرعية ولغوية مثل كلمة الصلاة هي الدعاء ولكن المعني الشرعي الأفعال والأقوال المتعبد بها والتي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم ومثال آخر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٤)، فالذي لا يدرك معاني اللغة يفهم من الآية أن الله خير الناس بالإسلام والكفر والمدرك لمعاني اللغة يفهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٥) فهو الوعيد وليس التخيير.

(١) سورة النساء/43.

(٢) سورة البقرة/198.

(٣) سورة البقرة/243.

(٤) سورة الكهف/29.

(٥) سورة الكهف/29.

مناهج التفسير في القرآن الكريم

مقدمة: أريد ان أعرج على تعريف موجز للمنهج وهذا قبل الدخول الى الموضوع المنهج هو طريقة الاستدلال أو الكيفية المعتمدة في الاستدلال على اثبات المطلوب والمنهج هو مجموعة من القواعد والضوابط المفضية إلى نتائج او ربما تكون هذه النتائج حتمية البحث دون منهج يؤدي الى الفوضى البحثية ولقد وقع في فوضى البحث كثير من اعلام المسلمين في مصنفاتهم بالمنهج تستطيع الوصول الى مقاصد العلم أو بالأحرى الوصول إلى التفسير. وفي الأخير أقول إن المنهج مهم في البحث العلمي .

ومناهج التفسير كثيرة منها ما هو قديم ومنها ما هو مستحدث وأردت في هذا البحث أن أشير إلى بعض المناهج في تفسير القرآن الكريم وأعطي لكل منهج تعريفا مختصرا مناهج التفسير:

1 - تفسير القرآن بالقرآن.

2 - التفسير الاثري.

3 - التفسير الإشاري.

4 - التفسير بالرأي المسمى بالتفسير العقلي وهناك مناهج أخرى كالتفسير الأخلاقي، والتفسير الإعجازي، والتفسير الأدبي، والتفسير الفقهي...

المنهج الأول: تفسير القرآن بالقرآن تفسير القرآن بالقرآن هو أول المناهج التفسيرية وهذا التفسير لم يستغن عنه الذين اعتمدوا على مناهج أخرى. - هذا التفسير هو أن النصوص القرآنية تفسر بعضها بعضا وذلك لاختلاف بين مضامين النصوص. - تفسير القرآن بالقرآن هو المنهج الأكمل وينبغي أن يسلكه كل مفسر للقرآن الكريم. - عده بعض العلماء من الأمور المستلزمة لأي مفسر للقرآن

الكريم. - لا يوجد بين مضامين القرآن الكريم أي اختلاف لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾.

المنهج الأثري: قد لا يختلف كثيرا عن المنهج الأول وهو تفسير القرآن بالقرآن لأن التفسير الأثري يقصد به تفسير القرآن بالنصوص الإسلامية الأولى والمصادر الأساسية كالقرآن الكريم والسنة النبوية وما أثر عن الصحابة والتابعين وتابعيهم.

المنهج الإشاري: قد يكون تعريف هذا المنهج بمعنى استفادة شيء من كلام غير مذكور في ظاهره او بمعنى آخر أن للقرآن باطنا وظاهرا وقد يسمى هذا المنهج بالمنهج التأويلي نظرا لاعتماده عرض المعاني الباطنية المتوقفة على التأويل وقد اهتم بهذا المنهج التفسيري بعض المتصوفة وأصحاب الكشف ولعل أهم هذه التفاسير وأشهرها ابن العربي. - وقد حصل اختلاف شديد بين العلماء في مسألة قبول المنهج.

منهج التفسير بالرأي: يكون تعريف هذا المنهج أن يعمل المفسر عقله في فهم القرآن والاستنباط منه مستخدما آلات الاجتهاد ويقصد به التفسير العقلي التفسير الاجتهادي ولهذا جعل التفسير العقلي مرادفا للتفسير بالرأي أو أيضا مرادفا للتفسير الاجتهادي وقد وقف السلف منه موقف المتردد فقد قال عمر بن الخطاب اتقوا الرأي في دينكم فهناك رأي محمود ورأي مذموم وعلى العموم يعتبر منهجا من مناهج التفسير وقد قال الغزالي رحمه الله ان القرآن والاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن الكريم لأرباب الفهم متسعا بالغا ومجالا رحبا.

المنهج العلمي للتفسير: قد يعرف بمعنى بيان معاني القرآن الكريم باستنباط العلوم بمختلف انواعها الكونية أو بمعنى اخر توظيف العلوم التطبيقية والبحثية

(1) سورة النساء/82.

والمعارف التجريبية وربطها بالقرآن الكريم. - وهذا المنهج يعتمد على الاستقراء بالدرجة الأولى في رصد التجربة - يبقى هذا المنهج عاجزا عن تقديم نتائج قطعية لعدم تمكنه من الوصول إلى استقراء تام ولهذا يبقى نتائجه ظنية. - وقد اعتبر بعض العلماء أن هذا المنهج ليس منهج تفسير وإنما هو منهج تطبيق إن صح التعبير، ولهذا ينبغي لصاحب هذا المنهج التبصر، والحيطة والحذر، وعرض نتائجه لأن المادة العلمية قابلة للصواب والخطأ.

المناهج الأخرى هناك مناهج أخرى في تفسير القرآن الكريم منها المنهج الأخلاقي في التفسير، والمنهج الأدبي واللغوي وغيرهم...

ملاحظة: إن المفسرين للقرآن الكريم كثير منهم من يميل حسب قناعته ومهاراته في تخصصه العلمي؛ فترى مثلا تفسير ابن كثير يميل إلى الاخلاق، والزمخشري يميل إلى البلاغة واللغة والألوسي في كثير من الاحيان إلى التأويلات وابن جرير يميل إلى ما يسمى بالمنهج العقلي أي التفسير برأي.

